[ألوانُ العَيْن]

[٥٢]- فإنْ قالَ قائلٌ[١]: فصِفْ لي[٢] كَمْ ألوانُ العيونِ[٣]؟

قيلَ لَهُ:

[١]- عَيْنٌ **كَحْلاءُ**،

[٢]- وعَيْنٌ[٤] **زَرقاءُ**،

[٣]- و**شَهْلاءُ**،

[٤]- و**شَعْلاءُ**[٥].

١- تيمور: (قائل): ساقطة منها.
٢- نور عثمانية: (إلي).
٣- نور عثمانية: (العين).
٤- تيمور، بطرسبورغ: (عين): ساقطة منها.
٥- هذه الكلمة غير موجودةٍ في المعاجم العربيَّة بهذا المعنى.

يقول ابن فارس: مقاييس اللُّغة: (١٩٠/٣): "والشَّعَل: بياضٌ في ناصيةِ الفَرَس وذَنبه، يقال: فرس أشعل والأنثى شَعْلاء".

وبذلك يكون أطبَّاء العيون العرب قد استعملوا هذه الكلمة بالمعنى الذي أشاروا إليه من باب (التخصيص) فصارت كلمة (الشَّعَل) اصطلاحًا فنيًّا عند أطبَّاء العين.

وقد استعملها أطبَّاء العيون في القرن التاسع الميلاديّ. وبعدهم استعملها أطبَّاء القرن العاشر والحادي عشر.

على سبيل المثال: حنين بن إسحق: المسائل في العين: (المسألة ٦٧، ص٣٧): "كم هي أصناف ألوان العين؟ جواب: أربعة: الأكحل، والأزرق، والأشهل، والأشعل".

(مسألة ٦٩، ص٣٩): "مماذا تكون العين شهلاء ومماذا تكون شعلاء على جهةٍ أخرى؟

جواب: إذا اتفقت بعض تلك الأسباب التي تفعل الكحل مع تلك الأسباب التي تفعل الزُّرقة كانت العين على ما وصفنا؛ أعني شهلاء أو شعلاء، إلا أنَّ الأشهل يميل إلى الزرقة لصفائه ورقته، وأمَّا الأشعل فإنَّه يدلُّ على أنَّ الرُّوح الباصر خاصَّة أصفى بُنِيَّةً وأكثر في بعض تلك الألوان".

- وعليّ بن عيسى: تذكِرة الكَحَّالين: (ص١٣): "... وأمَّا العين الشهلاء والشعلاء فإنَّه إذا التأم بعض الأسباب الفاعلة للكُحولة مع بعض الأسباب الفاعلة للزُّرقة كانت ما ذكرت، واللون الأشعل يدلُّ على أنَّ الرُّوح الباصرة أكثر وأصفى...".

[٥٣]- فإنْ قالَ[١]: **الكَحَلُ**[٢] مِمَّاذا يكونُ؟ وكيفَ صِفَتُهُ ونَعْتُهُ؟

قيلَ لَهُ: يكونُ:

[١]- من نُقْصَانِ الرُّوحِ البَاصِرِ.

[٢]- وكُدُورَتِهِ.

١- تيمور: (قيل له).

٢- خلق الإنسان (السيوطي): "فصل في صفات العين: والكَحْلاءُ: التي اشتدَّ سَوادُ مُقلَتِها".

- القاموس المحيط: (٤/٤٤): "الكَحَلُ: أن يَعْلُوَ مَنَابِتَ الأَشْفارِ سَوادٌ خِلْقَةً، أو أن تَسْوَدَّ مواضِعُ الكُحْلِ. والكَحْلاءُ الشديدةُ سَوادِ العينِ أو التي كأَنها مَكحولةٌ وإن لم تُكْحَلْ".

- حنين بن إسحق: المسائل في العين: "مسألة ٦٨، ص٣٨-٣٩): من كم سبب يكون كحل العين وزرقتها؟

جواب: من خمسة أسباب: إمَّا بسبب الرُّطوبة الشبيهة ببياض البيض، وإمَّا بسبب الرُّطوبة الجَليدية، وإمَّا بسبب وضعها، وإمَّا بسبب الرُّوح الباصرة، وإمَّا بسبب مزاج الطَّبقة العِنبيَّة.

وذلك أنَّه إنْ كان بسبب الرُّطوبة البَيضية فإنَّه يكون: إمَّا بسبب كميتها، وإمَّا بسبب كيفيتها.

أمَّا بسبب كميتها فإنَّها إنْ كانت يسيرةً صارت العين بها زرقاء، وإن كانت كثيرةً صارت العين بها كحلاء.

وأمَّا بسبب كيفيتها فإنَّها إن كانت رقيقةً صافيةً، صارت العين بسببها زرقاء، وإن كانت غليظةً كدرةً صارت العين بسببها كحلاء.

وأمَّا بسبب الرُّطوبة الجَليدية: فإمَّا بسبب كميتها وإمَّا بسبب كيفيتها: أمَّا بسبب كميتها فإنَّها إنْ كانت كثيرةً صارت العين بها زرقاء، وإنْ كانت قليلةً صارت العين بها كحلاء. وأمَّا بسبب كيفيتها فإنَّها إنْ كانت مضيئةً نيرةً صافيةً صارت العين بها زرقاء، وإنْ كانت كدرةً غليظةً صارت العين بها كحلاء.

وأمَّا بسبب وضعها فإنَّها إنْ كانت موضوعةً ممَّا يلي من خارج صارت العين بها زرقاء، وإنْ كانت موضوعةً ممَّا يلي من داخل صارت العين بها كحلاء.

وأمَّا بسبب الرُّوح الباصرة فإنَّها إنْ كانت صافيةً نيرةً صارت العين بها زرقاء، وإن كانت كدرةً صارت العين بها كحلاء.

وأمَّا بسبب مزاج الطَّبقة العِنبيَّة فإنْ غلب على مزاجها البَرد والرُّطوبة كانت العين بذلك زرقاء، وإنْ غلب على مزاجها الحرارة واليبوسة كانت العين بها كحلاء".

[٣]- ومن قِلَّةِ الرُّطوبةِ الجليديَّةِ وصِغَرِها.

[٤]- ومن بُعدِها وغُؤورِها في[١] الرُّطوبةِ البيضيَّةِ.

[٥]- أو كَثْرةِ البَيضيَّةِ وكثافتِها.

[٦]- أو مِنْ شِدَّةِ سَوادِ الغِشاءِ وحُلوكَتِه[٢].

[٧]-[٣]...

[٥٤]- فإنْ قالَ: فَمِنْ ماذا تكونُ **<u>الزُّرْقةُ</u>**[٤]**؟**

قيلَ لَهُ: من أضْدادِ ما يكونُ منه الكَحَلُ، أعني أنْ تكونَ الزُّرقةُ:

[١]- من كَثْرةِ الرُّوحِ الباصِرةِ وصَفَائِها.

[٢]- ومِنْ عِظَمِ الرُّطوبةِ الجليديةِ وظُهُورِها.

[٣]- أو من نُقْصَانِ البَيضيَّةِ وقِلَّتِها وغُؤورِها.

[٤]- أو من قِبَلِ نُقْصَانِ سَوادِ العِنَبيةِ وصَفَائِها.

١- الكلمة في المخطوطات الثلاث: (من).

٢- القاموس المحيط: (٢٩٩/٣): "الحُلْكَةُ بالضم، والحَلَكُ مُحرَّكةً: شِدَّة السَّوادِ".

٣- نقصٌ في النَّصِّ؛ ذلك أنَّه في هذه المسألة أجاب عن: من ماذا يكون الكحل؟ ولم يجب عن: "كيف صفته"؟.

٤- خلق الإنسان: (ابن أبي ثابت): (ص١٣٢): "وفي العين الزَّرَقُ والزُّرْقةُ، وهو خُضْرَةُ الحَدَقةِ".

- خلق الإنسان: (السيوطي): (فصل في صفات العين): "الزَّرقاءُ: التي اخْضَرَّتْ حَدَقَتُها".

- والحَدَقَة هنا تعني القَزحية؛ أي الجزء الملون من العين.

[٥٥]- وأمَّا **الشَّهَلُ**[١] و**الشَّعَلُ**[٢] فعِلَّتاهُما[٣] واحدةٌ، وذلك إذا اجتَمعَتْ بَعْضُ الأشياءِ وهي التي تُحْدِثُ الزُّرْقةَ، ولم يَجْتمعْ بَعْضُها كانت العَيْنُ شَهْلاءَ، فلذلكَ: الشَّهَلُ مائلٌ إلى الزُّرْقةِ بصَفَائِهِ ورِقَّتِه[٤].

[٥٦]- و**الشَّعَلُ** يكونُ لأنَّ الرُّوحَ الباصِرةَ فيها[٥] أكثرُ وأصْفى منها في الزُّرْقةِ.

١- خلق الإنسان: (ابن أبي ثابت): (ص١٣٠): "قال الأصمعيُّ: في العَيْنِ الشُّهْلَةُ، وهي أَنْ تُشْرَبَ الحدَقَةُ حُمْرَةً ليسَتْ خُطوطًا كالشُّكْلَةِ، ولكنها قِلَّةُ سَوَادِ الحَدقَةِ حتى كأَنَّ سَوادَها يَضْرِب إلى الحُمْرَة".

- خلق الإنسان: (السيوطي): (ص٢٠٦): "فصل في صفات العين: والشهلاءُ: المُشْرَبَةُ خُضرَةً.

والشُّهْلَةُ: أنْ يكونَ سوادُ العَيْن بين الحُمرة والسواد كأنّها بين الكَحلاءِ والزَّرقاء".

٢- القاموس المحيط: (٣/٤٠٠): "الشَّعَلُ محرَّكةً، والشُّعْلَةُ بالضم: البَياضُ في ذَنَبِ الفَرَسِ والناصِيَةِ والقَذالِ، شَعِلَ كفرِحَ واشْعالَّ فهو أشْعَلُ وشَعيلٌ وشاعلٌ وهي شَعْلاءُ".

- والعين الشَّعْلاء حالةٌ بين الكُحولة والزُّرقة، مثلها مثل الشَّهَل، والاختلاف في شدّة اللَّون.

٣- إذا صَحَّ ما كتبه الناسخ فهذا يعني أنَّ ثمَّة سببًا واحدًا "علةً" لظهور (الشَّهَل) و(الشَّعَل)، ومن المحتمل أنْ يكونَ المؤلِّف قد أراد أنْ يقول (فعلَّاتُهما) بمعنى أن ثمة أكثر من سببٍ لكلٍّ من (الشَّهَل) و(الشَّعَل).

٤- تيمور، بطرسبورغ، نور عثمانية: (وزرقته). والسياق يستدعي (ورقته). ولعل الخطأ وقع من تشابه الكلمتين في الكتابة (وزرقته) و(ورقته)، أو هو موجود في نسخة نقلت عنها مخطوطاتنا، وهو خطأ من الناسخ.

- المسائل في العين: (المسألة: ٦٩- ص٣٩): "مسألة: مماذا تكون العين شهلاء، وماذا تكون شعلاء على جهة أخرى؟٣-.. إلا أن الأشهل يميل إلى الزرقة لصفائه ورقته".

٥- تعود على: (العين).